مدرسة المبتدئين || شرح كتاب الدر النضيد || الشيخ محمد حجر حفظه الله.

الدرس العاشر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم اجعل عملنا الصالحا ولوجهك خالصة ولا تجعل لأحد في غيرك شيء اللهم لا حول ولا قوة لنا إلا بك فأعنا بحول وقوتك على إتمام ما بدأناه إنك ولي ذلك ومولاه.

ما زلنا بفضل الله تبارك وتعالى ومنه وكرمه علينا مع كتاب الدر النضيد للإمام الشوكاني رحمه الله رحمة واسعة والله تبارك وتعالى أسأل أن يتمه علينا على خير وبركة وأن يعصمنا فيه وإياكم من الخطأ والزلل إنه ولي ذلك وحده والقادر عليه.

ومازلنا مع باب التبرك فنقول:

التبرك كما سبق وطلب البركة والبركة تطلب من الله وحده سبحانه جل في علاه لا تطلب من أحد سواه والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما طلب البركة طلبها من الله فقال: "وبارك لنا فيما أعطيت" وأمر الناس إذا طلبوا البركة يطلبوها من الله قال: "إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدعو له بالبركة فإن العين حق" وقال للنبي عليه الصلاة والسلام: "اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا" سبحان ربي العظيم.

والله تبارك وتعالى جعل للبركة أسبابا وقد جعل ضسبحانه جل في علاه في البركة أسبابا للحصول على هذه البركة أو الحصول على البركة من خلال هذه بدون مكان إن شئت شيء وهذه وهذا لا تنتقل البركة إلى المتبرك بالذات يعني بركاته بالذات لا تنتقل من جهة اللمس وغير ذلك بل بركته من جهة المعنى فقط.

والنوع الثاني ما كانت بركته ذاتية متعدية فهذا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بركته هنا تتعدى تنتقل أي شيء يمسه أو آثاره تنتقل إليه المواطن.

والنوع الثاني هو التبرك بالأنبياء والمرسلين فقط، الأول فهو بقية البركات فهو بقية البركات.

إذا تحصل من ذلك أن البركة نوعان:

بركة معنوية لازمة: وهي كل بركة في مكان أو زمان، والبركة في البركة في كل مطعوم أو بركة في كل مشروب والبركة في الصالحين فهذه بركتهم معنى لازمة يعني لا تتعدى بل بركتهم بركة العمل فالقرآن بركته ليس بأنك تمسه أو تتمسح به بل بركة القرآن تحصل عليها من خلال قراءته من خلال الاستشفاء به إلى غير ذلك بركة مثلا كصيام رمضان تحصل البركة عن طريق الصيام لا عن طريق التمسح بالزمان فهذا غير وارد أو حتى التواجد في الزمان هذا غير واجب.

كذلك بركة المكان كبيت الله الحرام البركة فيه لا تنتقل عن طريق التمسح بالأرض أو نحو ذلك ولكن عن طريق الصلاة في هذا المكان وعبادة الله تبارك وتعالى في هذا المكان وتعظيم هذا المكان.

كذلك أيضا ماء زمزم بركته بركة معنوية لازمة متعدية يعني لا تنتقل باللمس من مجرد أنك لمست ماء زمزم أو اغتسلت ماء زمزم البركة وصلت إليك لا بل تصل بل لابد أن تكون عن طريق الشرب والدعاء يعني تنتوي هذا الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله ينتوي ما تشربه الذي تريد أن تشرب من أجله ولا يقال أن هذه بركة متعدية لا يقال أن هذه بركة معدية فلو شربها من غير نية ده يعني لا تؤثر فيه ولا تفيده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بل هي كالدواء بل هي كالدواء والذي أرسل لنا هذا الأمر هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نظر إلى الحجر الأسود فقال: "والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلته" يبين عمر رضي الله عنه أنه لا يتمسح بالحجر لأن بركته تنتقل به لا فهو حجر لا يضر ولا ينفع مع أنه حجر مبارك، نعم حجر مبارك " الحجر الأسود من الجنة" حديث رواه الترمذي وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "أن مسحهما يكفر الله به الخطايا" وحديث وراه أيضا الترمذي في جماعة هذه بركة أو ليست بركة قطعا بركة لكن هل بركته متعدية؟ يبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن بركته بركة معنوية لازمة وأنه يتبرك لا بالحجر بل يتبرك باتباع سنة النبي عليه الصلاة والسلام في مسح الحجر كما مسح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما البركة الذاتية المتعدية: هي بركة النبي عليه الصلاة والسلام والأنبياء والمرسلين فقط والله أعلى وأعلم يعني أرجوا من ربي أن تكون الرسالة قد اتضحت لإخواني.

والتبرك عبادة من العبادات لا شك في ذلك:

لأن طلب البركة يكون من الله سبحانه جل في علاه والطلب من الله هو الدعاء والأصل في الدعاء أنه عبادة والأصل في الدعاء أنه عبادة قول النبي عليه الصلاة والسلام الدعاء هو العبادة إذا علمت أن التبرك عبادة فعليك أن تعلم أن الأصل في العبادات التوقف سواء طلبت البركة من الله هي دعاء والدعاء عبادة.

فالبركة من الله والدعاء وسيلة لجلب هذه البركة من الله سبحانه جل في علاه.

وكذلك أيضا طلب هذه البركة من الله عن طريق الأشياء المباركة، طلب هذه البركة من الله عن طريق هذه الأشياء يعني تتبرك بالقرآن كيف تتبرك بالقرآن؟ يعني أطلب من الله أن يمنحني البركة من خلال قراءة القرآن فكيف ذلك؟ قراءة القرآن الحرف بحيث الحسنات والحسنة يضعف الله إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فهذه بركة ليس بعدها بركة إلى غير ذلك من فضل قراءة القرآن أن الله تبارك وتعالى يذكرك سبحانه جل في علاه وإن ذكرته في نفسك ذكرك في نفسه وإن ذكرته في ملأ ذكرك في ملأ خير من الذي ذكرته فيه إلى غير ذلك من هذه البركات العالية فهذه الأمور أسباب لجذب بركة، فمن يتمسح بالنبي عليه الصلاة والسلام أو يستشفي وجوه النبي عليه الصلاة والسلام هذا أيضا تبرك يطلب البركة من الله من طريق أسباب هذه البركة، فالدعاء ندعو الله أن يمنحك البركة الدعاء وسيلة كي يمنحها الله البركة.

التبرك بالأشياء التي جعل الله فيها البركة على وفق ما بين الشرع أيضا من الأسباب التي يمنحنا من خلالها البركة إذا علمت ذلك نرجع إلى الدرس الفائت في مسألة الأسباب أو الدرس قبل الفائت في مسألة الأسباب، السبب توقيفي يعني أنا ذكرت هذا المسألة ليبين أن الأسباب توقيفية وسبقت الأدلة.

كذلك بفضل الله سبحانه جل في علاه فالذي يقول أن هذه النتيجة مترتبة على هذا السند هو الله وحده الله خالق كل شيء وهذا أمر غيبي لا يعلمه إلا من خلق هذه الأشياء ويعلم السر وأخفى سبحانه جل في علاه لذلك لا يصح أن يدعي أحد البركة

إلا أن يأتي بدليل من كتاب أو سنة خاصة إذا كانت العلاقة بين السبب والنتيجة خفية قال الله تبارك وتعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ} فلما أتاني بسبب ولم يشرعه الله سببا لا شرعا ولا كونا، أن علاقته بالنتيجة غير ظاهرة خفية دائما تدعي أن هذا سبب لهذه النتيجة من أين نعرفه من أين عرفت أنه سبب؟ هل أطلعك الله على الغيب؟ هذا غيب والله تبارك وتعالى هو الذي خلق الأسباب وجعلها أسبابا للمسببات وجعل فيها هذه القدرة من أين عرفت أن هذا سبب للنتيجة ولا حول ولاقوة إلا بالله لنتيجة ما والعلاقة بينهما خفية لذلك السبب الكوني لابد أن يكون العلاقة بينهما ظاهرة بين السبب وبين النتيجة فكل من ادعى سببا لم يشرعه الله سببا لا كونا ولا شرعا فقد وقع في الشرك الأصغر، قال الله تبارك وتعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ} إذا علمت ذلك وعلمت أن الأسباب توقيفية فاعلم أن التبرك توقيفي بمعنى أنه لابد وأن تأتي بالدليل على أن هذا الشيء سببا أو سبب للبركة لابد أن تأتي بالدليل على أن هذا سبب للبركة إذ أن هذا شيء مبارك وأنه سبب للبركة هل هذا فقط؟ لا ثم بين لي نوع البركة، هل هي بركة لازمة غير متعدية معنوية غير متعدية أو ذاتية متعدية من أين أتيت بهذا الاشتراط؟ أتيت بهذا الاشتراط من كلام عمر قال والله: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع" ومع ذلك هل هو مبارك أو غير مبارك؟ الجواب مبارك، ثم انظر ماذا قال عمر؟ "ولولا رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقبلك ما قبلتك" إذا فلابد بعد أن تأتيني بالدليل على أن هذا الشيء مبارك وأنه سبب للبركة، لابد أن تأتيني بالطريقة التي أتبرك بها هذا أمر غيبي لابد ان تعلمه ممن منح البركة الأشياء هذه أولى.

الثانية كيف أحصل على البركة من خلال هذا الشيء؟

عليك أن تأتي بدليل من الكتاب أو السنة منح البركة لهذا الشيء يبين لك كيف تتبرك بهذا الشيء؟ كيف تحصل على البركة من الله من خلال هذا الشيء؟ لذلك عمر يبين ذلك فيقول: "ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك" مع أننا نعلم أنك حجر مبارك لكننا نعلم أنك لا تضر ولا تنفع والذي يمنح البركة هو الله وحده سبحانه جل في علاه "ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلته" الأصل التوقف يرسل لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه بل يرسل للأمة جمعاء هذا الأصل الأصيل أنه لابد أن تأتي بالدليل بعد أن تأتي الدليل على أن هذا الشيء مبارك عليك أن تأتي بدليل آخر تبين كيف أحصل على البركة من هذا الشيء.

كذلك أيضا أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه يبين أنه قد لقي بصرة بن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنهما هو وأبوه ابيان فقال له من أين جئت؟ قال أبو هريرة جئت من الطور والظاهر بالحديث أن أبا هريرة رضي الله عنه قصد جبل الطور قصدا يعني لم يذهب إليه عن طريق أنه كان في مسألة ثم مر عليه أو كان

في حاجة ثم مر عليه لا، الظاهر في الحديث أنه خرج من المدينة إليه قصدا يقصده بشد الرحل، فقال له بصرة رضي الله عنه: "لو لقيتك من قبل أن تأتيه لمنعتك تأتيه" قالت أنا هسيبك ما كنتش هسيبك تمشي قاله أبو هريرة ولما قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: "لا تعمل المطايا أو لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد في المسجد الحرام المسجد الأقصى ومسجدي هذا" وهذا حديث رواه النسائي وهو صحيح الله ان شاء الله تبارك وتعالى الشاهد أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "لا تعمل المطي أو لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة" أي لا يشد الرحال إلى شيء تبركا إلا للمساجد الثلاثة التي ثبتت فيها البركة وهذا يدل أيضا على أن كيفية التبرك بالشيء المبارك التي ثبتت بركته لابد وأن تكون توقيفية فجبل الطور تجلى الله له سبحانه جل في علاه فهو جبل مبارك بلا أدنى شك ومنطقة مباركة بلا أدنى شك {سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ} وسيناء من الشام هي من المنطقة من المكان الذي بارك الله فيه سبحانه جل في علاه بنص القرآن ولكن كيفية الحصول على بركة من هذا المكان ففهم هريرة أنه شد لها الرحل فأنكر عليه بصرة بن أبي بكر الغفاري رضي الله عنهما بأن النبي عليه الصلاة والسلام: "قال لا تشدد الحال إلا إلى ثلاث" فوجدنا أبا هريرة قد أذعن لهذا القول ولن يعارض بصرة رضي الله عنه وع فدل ذلك على أن التبرك امر توقيفي وكيفية التبرك من أشياء أمر توقيفي حتى لو ثبتت أنها مباركة لابد أن تأتيني بالدليل بعد ذلك يبين لي كيف أحصل على بركة من هذه الأشياء.

ثم اعلم أن هناك أو يعني التبرك منه ما هو ممنوع ومنه ما هو مشروع:

التبرك المشروع:

يكون بأمور التبرك المشروع اضبط هذا الأصل معك:

أولا: اعتقاد أن الذي البركة هو الله وحده.

الأمر الثاني: ثبوت الدليل على أن الشيء المتبرك به مبارك بالفعل.

الأمر الثالث: الإتيان بدليل يبين كيفية الحصول على البركة من خلال هذا الشيء المبارك، طبعا البركة من الله، حصول الإتيان بدليل يبين كيفية الحصول على بركة من الله من خلال هذا الشيء المبارك على اعتقاد أنه سبب للبركة فهذا هو التبرك المشروع، غير ذلك فهو تبرك ممنوع.

والتبرك الممنوع على أربعة مراتب:

المرتبة الأولى: اعتقاد أن الشيء المتبرك به هو الذي يمنح البركة بذاته: هذا كفر أكبر مخرج من الملة لأنه اعتقد في غير الله ما لا يعتقد إلا في الله قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأنعام ١٧] والذي يمس بالضر هو الله والذي يكشف الضر هو الله وحده والذي يأتي بالخير هو الله وحده سبحانه جل في علاه والله تبارك وتعالى يقول: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (٩٧) إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٩٨)﴾ [الشعراء ٩٨- ٩٧] الله تبارك وتعالى يبين الكفار النار أنهم كانوا يسوون رب العالمين بهذه بمخلوقاته أو يساوون غير الله سبحانه جل في علاه بالله وكذلك قال الله تبارك وتعالى: {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} سبحانه جل في علاه وكل هذه الأدلة تدل على كفر من اعتقد أن هذا الشيء المتبرك به يمنح البركة بذاته.

وجه الدلالة من هذه الأدلة أنه تكذيب للقرآن من اعتقد أن شيئا غير يمنح البركة بذاته من دون الله فقد شبه الخالق بالمخلوق واعتقد في غير الله ما لا يعتقد إلا في الله هذا كفر بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لأنه تكذيب لله في الآيات التي ذكرت.

طب يا شيخ حتى لو كان هذا الشيء حتى لو كان هذا الشيء مبارك بالفعل ثم اعتقد انه يمنح البركة بذاته من دون الله فهذا أيضا كفر ازور من الملة.

النوع الثاني من أنواع التبرك الممنوع التبرك بالأشياء مباركة لكنه يتبرك بها على وجه غير صحيح:

فالتبرك بالصالحين هل الصالحون مباركون؟ الجواب نعم لكنه يتبرك بهم ويعتقد أن بركتهم ذاتية متعدية فيتمسح بهم إلى غير ذلك فهذا قد البركة المعنوية اللازمة بركة ذاتية متعددة فهذا قد وقع في البدعة ولا نقول وقع في الشرك بل وقع في البدعة لأن أصل الصالحين فيهم بركة بالفعل لكنه فعلها على غير مراد الشرع وهو وسيلة إلى الشرك عياذا بالله من الخذلان وقع في البدعة وهو وسيلة للشرك.

النوع الثاني التبرك بأشياء مباركة بالفعل لكن يتبرك بها على وجه غير صحيح، كيف يجعل أن المعنوية اللازمة بركة بركة ذاتية متعدية فهذا فعله بدعة وهو وسيلة إلى الشرك وسبب كونه بدعة أنه لم يعتقد سببا لم يشرع الله سببا فهذه الأشياء المباركة بالفعل وهي سبب للبركة لكنه فعلها غير وفق المراد الشرعي أو غير وفق الطريقة الشرعية والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" "ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".

النوع الثالث من التبرك الممنوع التبرك بأشياء ليست مباركة أصلا:

يعتقد أنها مباركة ويعتقد سبب للبركة من وأن الذي يمنح البركة هو الله لكنها سبب البركة فالتبرك بالقبور ونحوها هذا قد وقع في الشرك الأصغر لماذا؟ لأنه قد اتخذ سببا لم يشرعه الله سببا لا كونا ولا شرعا، الله تبارك وتعالى يقول: {أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ} يعني أرجوا من الله أن تكون الفوارق بين الحالات قد اتضحت.

الحالة الرابعة اعتقاد أنهم وسطاء لا أسباب:

بل وسطاء وطريق البركة ولا بركة للخلق إلا من خلالهم وطريق البركة مقطوعة من غير هذه الأصنام أو هذه الأمور المتبرك: فهذا عين فعل المشركين لكن انتبهت حتى لا يلبس الأمر عين فعل المشركين حقا أنهم صرفوا العبادة لغير الله معتقدين أنها بابا للبركة فهمتم هذا الضابط صرفوا العبادة للأصنام، صرفوا العبادة لذات أنواط ويعتقدون أن ذات أنواط تمنحهم البركة من طريق الله يعني الله لا يمنحه البركة الله يمنحه البركة من طريق هؤلاء لو اعتقدوا فقط السلبية في ذات أنواط لم يكن هذا شركا أكبر السببية فقط لكنهم في واقع أمرهم اعتقدوا فيها السببية مع صرف العبادة لها مع صرف لها توجهوا لذات أنواط، توجهوا لذات انواط ولا حول ولا قوة إلا بالله أو يكون العلم عند الله سبحانه وجل في علاه اعتقدوا بذات أنواط أنها تمنح البركة بذاتها، لكن الأول انهم اعتقدوا أن هذه الآلهة لا تمنح البركة بذاتها بل تكون وساطة وسيط لجلب البركة من الله، لكن كيف كيف يحصلون؟ أو كيف تتم هذه الوساطة عن طريق التوجه لهذه الأصنام بالعبادة؟ هذا هو عين فعل المشركين هذا شرك أكبر مخرج من الملة لا لأنهم اعتقدوا فيهم السببية.

أكرر انا لا أدين الله عز وجل بذلك، بل أدين الله عز وجل أنهم كفروا كفرا أكبر لأنهم صرفوا لهم العبادة.

ومن قال أن هذه الأشياء وساطة أو وسطاء للبركة ولن يمنح الله البركة لأحد من عباده إلا من خلال هذه الأصنام وأن طريق البركة مقطوع إلا من طريق هذه الأصنام فهذا كفر أكبر وبابه الربوبية ما معنى هذا؟ يعني أنهم انتقصوا قدر الله سبحانه جل فيهم فإنهم قد جعلوا لله مكره يعني لن تمنح البركة إلا من خلال هذه الأصنام وإن أردت أن تمنح لن تمنح والله سبحانه لم لا مو كره له فهذه حالات التبرك الممنوع.

ومن صور التبرك الممنوع:

[١] صور التبرك ممنوع التبرك بالصالحين: نقول الصالحون بركتهم معنوية لازمة والتبرك يكون بمجالسهم وبالتعلم منهم منهم وبالانتفاع بعلمهم والانتفاع بوعظهم ونصائحهم وبدعائهم وحبهم فالمرء مع من أحب.

هناك من قال بركتهم بركة ذاتية متعدية قلنا لهم يا عباد الله ما الدليل على أن بركتهم بركة ذاتية متعدية؟ فنحن متفقون على أن الصالحين مباركون ومتفقون على أن بركتهم معنوية لازمة فزاد بعضهم وقال وأيضا ذاتية متعدية قلنا لهم هاتوا الدليل إذا الأصل عدم البركة ومن أراد يثبت أن هذا الشيء مبارك أو يبين فيه بركة عليه أن يأتي بالدليل.

قالوا قياسا على النبي عليه الصلاة والسلام قلنا لهم ما وجه القياس؟ قالوا وجدنا الصحابة يتبركون بآثار النبي وبعرق النبي وظهر النبي وبملابس النبي فبركة النبي بركة ذاتية متعدية والأصل في الأحكام التعميم، فقالوا قياسا على النبي بجامع الصلاح.

طبعا بكلمة جامع الصلاح دية نحن نجد ذلك نحن من زدناهم حتى يستقيم لهم القياس يعني بجامع بجانب الصلاح ولأن الأصل في الاحكام التعميم إذا ثبت هذا للنبي عليه الصلاة والسلام فيثبت لغيره قلنا قال والقياس أيضا على بقية الأنبياء قلنا وبالله التوفيق القياس على النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بجامع الصلاح فنقول هذا قياس مع الفارق وهو قياس أيضا فاسد فكونه قياس مع الفارق فمقام الأنبياء طبعا القياس على النبي أو الأنبياء، مقام الأنبياء أعلى واجل من اي صالح. وصلاحهم اعلى وأجل وأجلى من أي صلاح قال رب العالمين: {وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ} هناك أمور اختص بها الأنبياء، بل اختص بها النبي عليه الصلاة والسلام عن غيره قال: "إني لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني" والصالح لا صالحا إلا باتباع النبي عليه الصلاة والسلام، والكرامة التي يؤتاها هذا الصالح لا يؤتاها إلا باتباع النبي عليه الصلاة والسلام فلو قلنا أن وجه الإلحاق الصلاح فصلاح النبي لا يقاس عليه غيره ولم لا وهو الذي نزع الله حظ الشيطان من قلبه وأعانه على قرينه فأسلم أو فسلم منه وغسل قلبه بماء زمزم وحاشاه إيمانا وحكمة وهو أنقى القلوب وأطهرها وكذلك الأنبياء: قال "اللهم إني أتقاكم لله وأشدكم إليه خشية" فكيف يقال صلاح هذا على صلاح ذاك سبحان ربي العظيم هو الذي قال: "أنا سيد ولد آدم" وكذلك الأنبياء هم في مرتبة غير مرتبة الصالحين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء ٦٩] قدم الأهم وهم الأنبياء وبعد ذكر جملة من الأنبياء قال: {وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ} وبين النبي عليه الصلاة والسلام الفرق الشاسع والبول الواسع بين صلاح هؤلاء وصلاح

الأنبياء فقال: "أشد الناس بلاءا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل" فبين أن هناك فوارق يبتلى المرء على قدر دينه رتبة الأنبياء في مرتبة ومن بعدهم من الناس والله تبارك وتعالى يقول: {ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ} وقد خصهم الله تبارك وتعالى بخصيصة ليست لغيرهم وهي الوحي والرسالة أو النبوة وخاصهم بالعصمة وتنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ويخيروا عند الموت بين الإقامة في الدنيا وبين أن يموتوا ويدفنوا حيث ماتوا ولا تأكل الأرض أجسادهم أو لا تأكل الأرض أجسادهم وهم أحياء في قبورهم يصلون ولا يورثون فما تركوه يكونوا صدقة كل ثبت بأدلة صحيحة، النبي عليه الصلاة والسلام في بيان خصائص الأنبياء والمرسلين.

فالقياس على الأنبياء والمرسلين قياس مع الفارق ونقول أيضا هو قياس فاسد، قياس بس ولم؟ لأنه قد ثبت الدليل المعارض لهذا القياس أين الدليل؟ ترك الصحابة رضي الله عنهم جميعا التبرك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم والتبرك بكبار الصحابة أصدق الناس بنص كلام النبي عليه الصلاة والسلام: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" فتركوا التبرك بأهل بدر وهم أفضل الصحابة وترك التابعون التبرك بهؤلاء ولم يرد قد يقول قائل لا هذا القياس الدليل دليل ترك ودليل الترك ضعيف قلنا له اخسأ أيها الضعيف اخسأ أيها الضعيف دليل الترك مع وجود المقتضي وانتفاء المانع لا يكون ضعيفا بل يكون في مقام الفعل وهو إجماع وإلا لو قلنا بضعفه لزم من ذلك تكذيب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو الذي قال: "لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين" القرون الخيرية التي شهد لها النبي عليه الصلاة والسلام بالخير وليس فيها الحق تمر وقد خلل منها الحق والنبي عليه الصلاة والسلام يبين أنه لن يخلو الزمان من الحق عجب لن يخلو زمان من الأزمنة من قائل بالله بحق لن يخلوا زمان لن تأتي على الأمة ثانية ولا أقل من ثانية إلا وفيها من ينطق بالحق بفضل الله سبحانه جل في علاه أتريد بعد هذا أن تجعل خير للأزمنة

قد خلت من الحق لو قلت أن ترك الصحابة رضي الله عنهم جميعا أن ترك الصحابة رضي الله عنهم جميعا التبرك بكبار الصحابة وترك التابعين التبرك بالصحابة وبأفاضل الصالحين وهم الصحابة رضي الله عنهم جميعا فقد جعلت القرون التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية أنها قد خلت من الحق فسبحان ربك العظيم فهذا تكذيب لمن؟ هذا تكذيب لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لذلك انتبهوا يا عباد الله فهؤلاء يدرسون أصول الفقه ليحرفون كلام الرسول شعارهم الخفي اللعين (لتحريف كلام الرسول) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقياسهم قياس فاسد.

كذلك وقولهم القصد في الأحكام التعميم، نقول لها من أصدق لها التعميم إلا ما دل الدليل على التخصيص وقد أتى الدليل على التخصيص وترك الصحابة رضي الله عنهم جميعا وهو ترك الصحابة رضي الله عنهم جميعا التبرك بالصحابة وترك

التابعين التبرك أيضا بالصحابة والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا ما هي يا رسول الله؟ قال: ما كانت على مثل ما أنا عليه اليوم أصحابي" ويزكي الله تبارك وتعالى اعتقاده ويزكي النبي عليه الصلاة والسلام اعتقادهم خاصة أو الله تبارك وتعالى اعتقادهم خاصة فيقول: {فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ}.

كذلك ومن الرد عليهم أيضا أن لو قلنا الصالحين لقلنا أن الصالحين بركتهم بركة متعدية فنقول هذا في كل مسلم يعني يلزمكم أن يكون هذا في كل مسلم فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: "إن من الشجر بركته مثل بركة المسلم" ولم يقل أحد أن المسلم بركته متعدية سبحان ربي العظيم فقلت أصل أحكام التعميم كذلك أخذ بركة أناس على عهد النبي عليه الصلاة والسلام ولم يتبرك بها على اعتبار أنها بركة متعدية قال ما هي بأول بركاتكم يا آل أبي بكر وما وجدنا أحد في عهد النبي ولا بعده يتمسح بالصديق وما أرشد النبي عليه الصلاة والسلام إلى ذلك.

كذلك قالوا ما فما رأي إمرأة كانت اعظم بركة على قومها من جويرية رضي الله عنها جويرية بنت حارث حيث اعتق بثارها مائة أهل بيت من بني المنطلق وما رأينا أحد تمسح بجانب التحالف من النفاق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[٢] النوع الثاني من التبرك الممنوع التبرك بقبر النبي عليه الصلاة والسلام:
نقول لا خلاف بين أهل العلم على سنية زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام بدون شد الرحل واتفقوا على أنها غير واجبة وأنها داخلة تحت عموم مشروعية زيارة المقابر قال النبي عليه الصلاة والسلام: "كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزروها فإنها تذكركم بالآخرة" وقال أما الدليل على أنها لا يشد لها الرحل لا يشد الرحال إلى قبر قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام المسجد الأقصى ومسجده عليه الصلاة والسلام".

وصفة زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام أنه يبدأ بتحية المسجد النبوي ثم يأتي القبر الشريف فيقف مستقبلا الحجرة مستدبرا القبلة بأدب وقصد ثم يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا السلام عليك يا رسول الله، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يزيد على ذلك ويجوز شد الرحل إلى المسجد النبوي ثم بعد ذلك يذهب لزيارة القبر فيكون القبر تبعا لا قصدا والله أعلى وأعلم هذا الجزء الأول من الكلام هذا الحزء الأول.

الجزء الثاني: لا يجوز التبرك هناك بالدعاء، أعتقد هناك عند القبر فتدعوا وتعتقد أن الدعاء يكون أرجى في الإجابة فهذا تبرك لا يصح أو طلب دعاء يعني ليس في حالات أن تطلب الدعاء من النبي عليه الصلاة والسلام أو الشفاعة ولا بالصلاة عند

ولا بالدعاء عنده أو أداء بعض العبادات ظنا أن هذا المكان أرجى في قبول الدعاء وأرجى في قبول العبادة ولا يجوز أيضا التمسح بالقبر وتقبيله فإن هذا كله لا يجوز والدليل على ذلك أنه اليهود والنصارى وفيه تشبيه بيت المخلوق ببيت الخالق فبيت الخالق هو الكعبة يتمسح بالحجر الأسود والركن اليماني ويقبل فلا يقبل ولا يتمسح بالبيت إلا بيت الخالق وهو الله سبحانه في عينه وكذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: "لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" وهذه هذا الحديث دليل على أن التبرك بقبره لا يصح وهذا الفهم ليس فهمنا بل أو هذا فهم ليس فهمنا ولا حول ولا قوة إلا بالله بل فهم رجل من آل بيت رسول الله هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين رضي الله عنه ورحمه لما رأى رجلا كان يتحرى الدعاء عند فتحة في قبر النبي عليه الصلاة والسلام نهاه واستدل عليه بقوله: "لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا" كان يتعرض الدعاء عند الفتحة لماذا؟ تبركا ونهاهم عن ذلك.

كذلك أيضا من هذه لم يرد عن الصحابة هم أحرص الناس عن الخير ولا عن السلف هم أكثر الناس تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم تبركوا بقبر النبي ولا يتمسحوا به ولا يتمسحوا بترابه ولا غير ذلك ولا قبلوا ترابه عليه الصلاة والسلام

المسألة التي تلي ذلك التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها النبي عليه الصلاة والسلام:

التحفير محل البحث في هذه المسألة أن هناك أماكن قصدها النبي عليه الصلاة والسلام بالعبادة يعني قصد العبادة في مكان تحرر العبادة في بقعة فإنه يشرع قصده بالعبادة وتحري المكان بالعبادة إقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبا للثواب ولا خلاف في ذلك، أما ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام من العبادات في أي مكان دون قصد بل اتفاقا يعني دون أن يقصد المكان بذاته أو أن يؤدي العبادة في هذا المكان تحديدا لا بل حصل توافقا دون من غير تحري أو قصد فهل يشرع التبرك بهذه الأماكن؟ الجواب بعد أن ورد الخلاف في المسألة الصواب والعلم عند الله سبحانه وجل يفعله هو قول أهل السنة أن هذا لا يتبرك به والأدلة على ذلك:

أولا: عدم وجود الدليل الذي يفيد الترك أساس الله عدم وجود ده الذي يفيد الأصل عدم التبرك.

الدليل الثاني: ترك الصحابة رضي الله عنهم جميعا لذلك مع حرصهم بل هم أحرص الناس على فعل الخير والاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام بل أصرح من ذلك أنه ورد عن السلف النهي في ذلك فعن المعرور بن سويد رحمه قال خرجنا مع

عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعرض لنا أو فعرض لنا في بعض الطريق مسجد فابتدره الناس يعني سارعوا إليه يصلون فيه فقال عمر رضي الله عنه: "ما شأنكم؟ فقالوا: هذا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه آله وصحبه وسلم، فقال: عمر أيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا حتى أحدثوا بيعا فمن عرضت له فيه صلاة فليصلي" انظر إلى إنكار عمر رضي الله عنه وأرضاه بل أشد من ذلك لما وجد عمر رضي الله عنه الناس يتحرون الجلوس تحت شجرة الرضوان أمر بقطعها وأيضا لما وجد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وأرضاه نبي الله دنيال أمر عمر رضي الله عنه أن يعمي قبره يعني حفر ثلاثة عشر قبرا ودفنه في واحد لا يعرف حتى لا يتبرك به ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كل ذلك من السلف والصحابة رضي الله عنهم جميعا الأدلة قاطعة على أنه لا يجوز التبرك بمثل الأمور والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم.

وتتمة الكلام عن الخلاف وشبهات القوم في التبرك ونحو ذلك يأتي في المرحلة القادمة في كتاب أكثر توسعا إن شاء الله تبارك وتعالى.

أما التعليق على نصوص الباب:

فقال المصنف رحمه الله:

إن الاعتقاد بالأشجار من الشرك.

طبعا بأن الاعتقاد بالأشجار أنها تمنح للبركة بذاتها أنها من الشرك أنها تمنح عندما يصرف لها العبادة من شرك أو انها تمنح عندما يصرف لها العبادة أن هذا أو أنها سبب للتبرك أن هذا من الشرك لكن يقال هذا من الشرك الأصغر أو أنها سبب للبركة والذي يمنح بركة الله فيكون هذا من الشرك الأصغر والله أعلى وأعلم.

قال المصنف رحمه الله:

ومن ذلك ما أخرجه الترمذي وصححه أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى حنين.

غزوة حنين هي غزوة بعد فتح مكة.

قال المصنف رحمه الله:

ونحن حديث عهد بكفر.

حديث عهد بكفر يعني أسلموا منذ شهور قليلة شهرين أو ثلاثة من مسلمة الفتح وهذا فيه من نبل ورفعة وسمو قدر أبي واقد الليثي رضي الله وأرضاه أنه يبدأ بالعذر قبل ذكر الخطأ يعتذر للعقلاء يعتذر للفضلاء قبل بيان خطأهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال المصنف رحمه الله:

وللمشركين سدرة.

سدرة يعني شجرة.

قال المصنف رحمه الله:

يعكفون عليها.

وهذه يصرفونها لهذه الشجرة كما ذكرت لكم، يصرفون العبادة لهذه الشجرة وهي العكوف ظنا منهم أنها وسيط تجلب البركة من الله سبحانه جل في علاه فصرفوا لها العبادة لتمنحهم البركة وليمنحهم الله البركة فهذا كفر أكبر بلا أدنى شك لأنهم انصرفوا لها عبادة.

قال المصنف رحمه الله:

وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم.

يعني يعلقون بها أسلحتهم أي يتبركون بذلك يعني يعتقدون أنهم إذا علقوا الأسلحة أن البركة تنزل على هذه فينتصرون على عدوهم فتكون أنضى بالفتك في أعدائهم.

قال المصنف رحمه الله:

يقال لها ذات أنواط.

يعني صاحبة التعاليق يعني التي من كثرة السيوف التي تعلق عليها صنية ذات أنواط فوالله ذات أنواط لو نطقت لقالت لا إله إلا الله لا نعبد إلا إياه لا نشرك به شيئا سبحان ربي العظيم قال الله تبارك وتعالى: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}.

قال المصنف رحمه الله:

فمررنا.

يقصد بذلك الصحابة.

قال المصنف رحمه الله:

فمررنا بسدرة يعني بشجرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم.

هنا الصحابة رضي الله عنهم جميعا نيتهم نية صالحة والدليل على ذلك أنهم طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام وهذا إن دل فإنما يدل على أن النية الصالحة لا تصحح العمل الفاسد سبحان ربي العظيم، فنيتهم كانت صالحة أن يتبركوا طلبوا البركة من النبي عليه الصلاة والسلام حتى تكون مشروعة لكن لما كان عملهم فاسدا لن تنفعهم هذه النية حال إلا لم تنفعهم هذه النية بحال في صلاح هذا العمل ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهذا أيضا فيه دليل على أن التبرك توقيفي، الصحابة منذ بداية إسلامهم فهموا ذلك فطلبوا شيئا مباركا من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هنا غضب النبي عليه الصلاة والسلام.

قال المصنف رحمه الله:

فقال: "الله أكبر".

وهذه تقال للإنكار تأتي أيضا للفرح، قال: "الله أكبر" منكرا متعجبا.

قال المصنف رحمه الله:

"قلتم ما الذي نفسي بيده".

هنا يقسم النبي عليه الصلاة والسلام على الفتوى وأيضا يقسم من غير أن يستقسم دل ذلك على أن الذي سيأتي بعد ذلك أمر عظيم.

قال المصنف رحمه الله:

"قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون".

هنا بنو إسرائيل لما جاوز الله تبارك وتعالى بهم البحر ونجاهم من فرعون وجنوده أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى قالوا جعلنا إلها كما لهم آلهة فقال: "إنكم قوم تجهلون" هنا قاس هذا الحال بهذا الحال بعد أن جاءهم الله تبارك وتعالى وهم على التوحيد الخالص ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مروا على ذات أنواط تعبد من دون الله وتصرف لها العبادة ويعكف الناس عندها من دون الله سبحانه جل في علاه فطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن تقول لهم شجرة أخرى يصرفون لها العبادة من دون الله سبحانه جل في علاه.

قال المصنف رحمه الله:

ثم قال: "لتركبن سننا كان قبلكم".

هذا خبر لكن لا يراد به الإنشاء، هذا خبر يراد به الإنكار فهذا الأمر واقع كونا فستتبع هذه الأمة سنن يعني طريقة من كان قبلنا أي من اليهود والنصارى فهذا خبر عن إنكار، نعم على سبيل الإنكار لا على سبيل الإقرار وهو واقع نعم واقع لا واقع كونا لكننا ننكره قد أنكره النبي عليه الصلاة والسلام شرعا السياق ظاهر الإنكار والنبي عليه الصلاة والسلام يقول "ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى".

قال المصنف رحمه الله:

قال: فهؤلاء أن طلبوا أن يجعل لهم شجرة ينوطون بها أسلحتهم كما كانت الجاهلية تفعل ذلك ولم يكن من قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرة اطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور فأخبرهم صلى الله عليه وسلم أن ذلك بمنزلة الشرك الصريح وإنه بمنزلة آلهة غير الله سبحانه جل في علاه.

قلنا والعلم عند الله سبحانه جل في علاه أن هذا الذي نعم إن كانوا لا يعتقدون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أنها تمنح بذاتها لكن طلبوا منه ذلك وقصدوا بذلك التوجه إلى الشجرة قصد ذلك التوجه إلى الشجرة وعبادة شجرة وصرف العبادة الشجرة وهذا هو عين فعل المشركين نسأل الله العفو والسلامة.

أما الفوائد المستنبطة:

[١] من وقع الشرك من الصحابة فمن دونهم في التوفيق والعلم أولى.

[٢] الخوف من الشرك، إن وقع فيه الصحابة فأنت أخوف.

[٣] النهي عن التشبه بالمشركين لكن قولي للمشركين ولم أقل أهل الكتاب لماذا؟ لأنه إن كان أهل الكتاب هم أقرب إلينا من أهل الشرك فهنا عن الاتباع فمن باب أولى أهل الأوثان والشرك.

[٤] الغضب عند التعليم قال: "الله أكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل".

[٥] رواسم الجاهلية تؤثر قال: "ونحن حدثاء عهد بكفر".

[٦] من علامات النبوة النبي أخبر بالمستقبل "فيركبن سنن من كان قبلكم".

[٧] حجية قياس قال: "قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى" فشبه هؤلاء بهؤلاء.

[٨] من هذه الصفات إثبات بيد الله قال: "قلتم والذين نفسي بيده".

[٩] التاسعة تقديم العذر للمخطئ من شيم الكرام، "ونحن حدثاء عهد بكفر".

[١٠] في الحديث دليل على العذر بالجهل أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يأمرهم بدخول الإسلام ولا يقال هم قالوا بل يقال طلبوا قال: لا يقال هم قالوا لم يفعلوا بل نقول طلبوا.

[١١] كذلك النية أن هذه الفوائد النية الصالحة لا تصحح العمل الفاسد.

[١٢] الإنكار على الجاهل في مسائل التوحيد مع عذره.

[١٣] جواز الحلف من غير أن يستحلف إن كان الأمر عظيما.

[١٤] الحلف على الفتوى.

[١٥] قول الله أكبر عند الغضب والإنكار من السنة.

نكتفي بهذا القدر ونكمل إن شاء الله تبارك وتعالى بيان مسائل هذا الكتاب الماتع في دروس أخرى إن قدر الله لنا بقاء واللقاء.

هذا ورد العلم إليه، أسلم فالله أعلم، وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين، وجزاكم الله خير الجزاء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته